

# وارزازات:

## عروس الواحات الصحراوية

< الدار البيضاء - نور الدين سعودي  
تصوير - أحمد زيني

استهوت بهدونها الفقهاء والمفكرين، وبجمال طبيعتها الفطرية الفنانين العالميين،  
ويتنوعها السياح من كافة أقطار المعمور، إنها مدينة وارزازات بالجنوب المغربي. باب  
الصحراء والواحات ومنطقة "القصبات".

بامتياز، يمر المسافر عبر جبال الأطلس الكبير  
الشامخة التي تكسو قممها الثلوج أغلب  
فصول السنة لينحدر منها - بعد اجتياز  
معبر "تيزين تيشكا" الذي يقع على ارتفاع  
2260 م - إلى السفوح الشرقية القاحلة ثم  
إلى الهضاب وصولاً إلى وادي درعة.

### امتداد تاريخي عريق

من الناحية الجغرافية، يعود الفضل لوجود  
هذه المدينة والمدن الأخرى، وكذا لشبكة من  
الواحات تمتد على مساحة تفوق 200 كلم، إلى  
وادي درعة، الروح الفعلية لهذه

هذه المدينة وكأنها سراب، إلا أنه سراب ساحر  
بحق نظراً لجمال غابات النخيل الدائمة الاخضرار  
بها وشعابها الضيقة الشاهقة، و"قصباتها"  
و"قصورها" الخالصة.  
إنها بوابة الصحراء ونقطة انطلاق الطرق  
المؤدية إلى الواحات، فالسفر إليها ومنها كله  
متعة وتشويق نظراً للمفارقات الطبيعية  
التي تميز الطريق المؤدية إليها، فمن مراكش  
المدينة القارية

وارزازات، من المدن البديعة بالجنوب المغربي،  
ويعني اسمها البربري المدينة الهادئة،  
ومن زارها يتأكد فعلاً أنها اسم على مسمى،  
حيث أن موقعها على التحوم الصحراوية  
وانزواها في الجنوب الشرقي من المملكة وفر  
لها بحق الهدوء التام.  
هذه المدينة تقع في مفترق الطرق بين أودية  
درعة ودادس وزيز التي تخترق بشموخ الكثبان  
الرملية القاحلة، على بعد حوالي 200 كلم  
جنوب شرق مراكش (و 520 كلم من  
الرباط العاصمة) تنتصب



Palm date oasis in Ouarzazate

واحة نخيل بناحية وارزازات



The remains of an ancient kasbah



آثار قصبة قديمة Sand dunes near Ouarzazate

كثبان صحراوية بضواحي وارززات

ولا زالت هذه الزاوية، إلى يومنا هذا، ختفل بأولياتها الصالحين من خلال موسم سنوي، يدعى موسم تامغروت البخاري، يعقد في 10 محرم من كل سنة. يدوم هذا الموسم ثلاثة أيام يلتئم خلالها شمل أعضاء الزاوية الناصرية الذين يقضون معظم وقتهم في تلاوة القرآن الكريم والأمجاد النبوية والذكر. كما يقام خلالها سوق شعبي كبير تباع فيه مختلف أنواع البضائع من خضر وفواكه وتوابل وحِجَّة ومواد الصناعة التقليدية الخزفية وغيرها. واشتهرت تامغروت أيضا بعمران مساجدها الراقية والفريد ببياض مآذنها الناصع وزرقة سقوفها. وهو ما يمثل مفارقة بارزة مع العمران السائد في المنطقة ذي اللون البني. وفي التاريخ المعاصر، قد ارتبطت معالم تطور هذه المنطقة أشد ارتباط بقبيلة "كلاوة" التي تقوى نفوذها على الخصوص منذ منتصف القرن التاسع عشر وتدعم أكثر على إثر زيارة السلطان الحسن الأول 1873-1894 لهذه المنطقة سنة 1893 حيث تعرضت قافلته لعاصفة ثلجية في أعالي جبال الأطلس الكبير لم ينجى منها إلا بمساعدة قبيلة "كلاوة". ولكافأنتها، عين السلطان قائدها "المدني الكلاوي" مثلا له على المناطق الجنوبية من المملكة وأهداه مدفعا ألمانيا من طراز "كروب" مما قوى نوعيا قدرات قبيلته القتالية ومكَّنها من السيطرة

أن هزم أحمد المنصور الملقب بـ"الذهبي" ملكي أسبانيا والبرتغال في "معركة الملوك الثلاث" الشهيرة (1578م) بوادي الحجاز قرب مدينة القصر الكبير شمال المغرب. وعلى بعد 20 كلم تقريبا من زاكورة باتجاه الجنوب، توجد "تامغروت" التي اشتهرت بكونها مركز أكبر وأقوى "زاوية" بالجنوب المغربي، ألا وهي "الزاوية الناصرية". و"الزاوية" هي مؤسسة اجتماعية-روحية برزت في القرن السادس عشر بالمغرب وأطرت المجتمع المحلي على كافة الأصعدة. تأسست الزاوية الناصرية على يد الفقيه سيدي عمرو بن أحمد الأنصري سنة 1575 وعرفت أوجها في عهد خلفه سيدي أحمد بن ناصر، حيث اتسع نفوذها عبر 366 زاوية فرعية منتشرة على مجمل التراب المغربي وأصبحت محور التجارة القافلية الصحراوية وقبلة لألع الفقهاء والعلماء ومركز إشعاع فكري وديني، بفضل مدرستها الذائعة الصيت التي حوي مكتبتها منذ نشأتها في القرن السادس عشر آلاف المخطوطات التي تشمل مجالات علمية وفقهية متعددة، من أمهات تفاسير القرآن الكريم، إلى دراسات في التصوف وفي علوم اللغة والفلك. وكان مؤسسها سيدي أبو عبد الله بن ناصر قد ترك بعد وفاته ما يزيد عن 60,000 مخطوط بتلك المكتبة.

المنطقة، والذي كان إلى زمن غير بعيد أطول نهر في المغرب، حين كانت تصل مياهه إلى المحيط الأطلسي. هذا الوادي يأخذ منبعه بضعة كيلومترات شرق مدينة وارززات، ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي ليعبر جبل سغرو وينحدر عبر عدة منحدرات ويخترق جبل باني ليرسم شبه دائرة نحو الغرب قبل أن تضيع مياهه في الرمال الصحراوية. ومن الزاوية التاريخية، تحتزن المنطقة عشرات المواقع ذات النقوش الحجرية التي تعود إلى فترات تاريخية قديمة تتعدى 4000 سنة. فمثلا موقع "جرف الخيل" يتضمن 109 نقوش حجرية من الحقبة الليبية-البربرية بشخص الفرسان والحلي، وموقع "فم شنا" يحتضن أكبر جَمع للرسوم الليبية-البربرية والتي تمثل الفرسان، والحياد والجمال والنعامات والعقارب وأسلحة الصيد. وكانت لإحدى واحات هذه المنطقة مكانة بارزة في تاريخ المغرب، فمن واحه زاكورة الواقعة على بعد 170 كلم جنوب شرق وارزازات انطلق السعديون في القرن السادس عشر واحتلوا منطقة سوس الجنوبية، ثم وسعوا نفوذهم على كافة التراب المغربي وعلى جزء هام من إفريقيا الوسطى والغربية، إذ امتدت إمبراطوريتهم خلال عصرها الذهبي إلى تومبوكتو وإلى غانا، بعد

بإنتاج سجاد ممتاز، ألا وهو "سجاد وزكينة" الشهير ذي الألوان البهية والرسوم الهندسية البديعة، وإنتاج صنف ممتاز من الحنّة التي تزين بها النساء أيديهن. وتطور النشاط السياحي بهذه المنطقة شجع على نمو البنيات الفندقية، حيث تتوفر المنطقة على ما يفوق 5,500 سرير ضمن الفنادق المصنفة التي تحقّق ما يزيد عن 450,000 ليلة سنويا.

إننا إذن أمام محطة سياحية من الطراز الرفيع من حيث تنوعها الطبيعي، وغنى تراثها المعماري الفريد، وفضلا عن هذا وذاك، فهي تمتاز بسكانها المعروفين بكرمهم وسخائهم وحسن الضيافة. فمرحبا بكم إذن في وارززات. ■



Inscriptions

رسم على الحجر

## هوليود الصحراء

وارززات هي أيضا مدينة السينما ومشاهير الفن السابع عالميا، بفضل فضاء غابات النخيل الممتدة على عشرات الكيلومترات والشعاب الضيقة، و"قصباتها" الحاملة، ما دفع إلى تليقها بـ"هوليود الصحراء".

إلا أنه إذا تم اكتشاف جمال هذه المدينة ومنطقتها منذ الستينيات من قبل كبار المخرجين السينمائيين العالميين، حيث اختارها مثلا مخرج فيلم "لاورانس العرب" ومخرج "علي بابا و 40 حرامي" لتصوير بعض مشاهدهما، فإن الازدهار الكبير للنشاط السينمائي بهذه المنطقة بدأ في الثمانينيات وتدعم مع مطلع الألفية الجديدة، وذلك بفضل إنشاء استوديوهات من المستوى العالمي بها: أبرزها استوديوهات الأطلس، وكانزلمان، وتاوريرت وإيست-أندروميديا ودينو دي لورانتيسس، مما سمح بتصوير العديد من الأعمال السينمائية الشهيرة من ضمنها على سبيل المثال لا الحصر "المومياء" و"الأوامر العشرة" (مع عمر الشريف ودوغري سكوت) و"كوندون" (مع براد بيت) و"ملكة الفردوس" للمخرج ريدلي سكوت، و"غلابيتور" و"الاسكندر الأكبر" و"أستريكس وأوبليكس" و"بابل".

بهذا تكون وارززات في طريقها لكي تصبح أول قطب سينمائي بإفريقيا، فالميزانيات المستثمرة في المجال السينمائي بلغت خلال السنين الأخيرة 140 مليون دولار سنويا، وقدرت عائدات تصوير الأفلام الأجنبية بالمغرب بمليار دولار سنة 2005. بالإضافة إلى هذا، تخلق هذه الأعمال السينمائية رواجاً هاماً في المنطقة، إذ فضلا عن النشاط الذي تحركه في كافة المرافق السياحية من فنادق ومقاهي ووسائل النقل ومرشدين، فإنها توفر فرص عمل مهمة جدا سواء بالنسبة للأطراف السينمائية (تقنيين وممثلين أو الكوميديين) أو لعدة حرفيين (صناع تقليديين، نجارين، خياطين وغيرهم).

وأخيرا، تتوفر المنطقة على 1.7 مليون نخلة تعطى التمر وهو ما يمثل 40% من العدد الإجمالي للنخيل بالمغرب، ويقدر الإنتاج السنوي للتمر بالمنطقة بـ 45,000 طن أي 56% من الإنتاج الوطني، كما إنها تمتاز

التامة على الجنوب، وخلال الحقبة الاستعمارية، اضطر الفرنسيون إلى الاعتماد على القائد "التهامي الكلاوي"، خلف المدني، ليمسك نفوذهم على الجنوب الشرقي المغربي. كما كان هذا القائد من ضمن العناصر التي اعتمدوا عليها في خلع السلطان محمد بن يوسف وتعويضه بابن عمه محمد بن عرفة سنة 1953.

## طريق "القصبات"

وهذه المدينة والمنطقة المجاورة الممتدة على وادي درعة تمتاز أيضا بتراثها المعماري الفريد والعريق الذي تعود جذوره لآلاف السنين. أهم أشكال السكن التقليدي الذي يعكس نمطا خاصا للتنظيم الاجتماعي الاقتصادي للوحدات الجنوبية للمغرب تشتمل على "القصور" و"القصبات" و"أكودين"، وتتوفرها على حوالي 300 "قصة" تضم منطقة وارززات وحدها ثلث "القصبات" المعروفة بالملكة.

وبحكم شموخ وجمالية هندسة هذه "القصبات" كبنيان عمراني فريد، سجلت ثلاث منها ضمن التراث العالمي من قبل اليونسكو، وهي "قصة آيت بن حدو" و"قصة تاوريرت" و"قصة تيفولتوت".

وتعد قرية آيت بن حدو، الواقعة على بعد 30 كلم من وارززات والتي تأسست في القرن الحادي عشر، من أبرز معالم المنطقة بفضل "قصباتها" الشهيرة التي استهوت بجمالها ورونقها ومعمارها الفريد عمالقة السينما قبل أن تسجل سنة 1987 ضمن لائحة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو، وهي أول "قصة" استفادت من البرنامج الوطني للحفاظ على "قصبات" الجنوب.

أما "قصة تاوريرت"، فهي كانت القصر الذي استقر به التهامي الكلاوي، وهي حفة معمارية تبهن على مستوى العيش الراقى والذوق الرفيع لأعيان المغرب منذ القدم.

ونظرا لجمالية عمرانها، كانت هاتان "القصبتان" مسرحا لتصوير مشاهد أفلام عالمية، أشهرها "لورانس العرب" و"شاي بالصحراء".

غير أن العديد من هذه التحف المعمارية مهدد بالانهيار والمطلوب أن تتضافر الجهود لصيانتها والحفاظ عليها كشاهد على أمجاد من التاريخ المغربي العريق.